الجميع تتصل، في نهاية المطاف، به. وفي أكثر من مناسبة، وجّه أكثر من عملية «استفزازية» الى الصهيونيين، لم تخل من اهانة واذلال لهم. وعلى سبيل المثال، لا الحصر، كان أبو جهاد وراء عملية دلال المغربي، التي نفّذت في ربيع العام ١٩٧٨، واسفرت عن سقوط العديد من القتلى الاسرائيلين، بعد ان اضطرت السلطات الاسرائيلية، لكي تستطيع احتواء آثار الهجوم الفدائي، الى فرض منع التجول، لأول مرة في تاريخ الكيان الصهيوني، على جزء من المنطقة الساحلية في فلسطين، يقطنه نحو ٣٠٠ الف مستوطن يهودي، ويعتبر جزءاً من «قلب» اسرائيل. وفي ربيع العام ١٩٨٥، نظم عملية هجوم من طريق البحر على منطقة هكرياه، الواقعة على شاطىء يافا ـ تل ـ أبيب، حيث المقر الرئيس لوزارة الدفاع الاسرائيلية، على ما يضمّه من اوكار لذئاب «الدفاع» وكبار الارهابيين الاسرائيليين. ولم تتمكن القوة المهاجمة، على كل حال، من الوصول الى هدفها؛ اذ اكتشفت وهي في البحر. الا انه على الرغم من ذلك تشكل المحاولة، بحد ذاتها، تحدياً سافراً للقيادة الاسرائيلية برمّتها، لم تعتد ان تسكت على مثله ـ لكنها سكتت. وبكلمات أخرى، لم ير الاسرائيليون في هذه العمليات، ولا في غيرها، ما يبرر اغتيال «أبو جهاد».

ومهما كانت التساؤلات حول اقدام الاسرائيليين على ارتكاب جريمتهم في هذا الوقت بالذات، والاسباب الكثيرة التي قد تدفعهم الى ذلك، يبدو لنا ان السبب المباشر كامن في السعي الى الانتقام من الرجل الذي كشف، بحسه المرهف، عورة الدجل والعربدة الاسرائيلية في عملية تبدو «عادية» للغاية، عرفت باسم عملية ديمونه. ففي ١٩٨٨/٣/٧، تسللت مجموعة من ثلاثة فدائيين فلسطينيين عبر الحدود ووصلت الى نقطة لا تبعد كثيراً من المفاعل الاسرائيلي الذري في ديمونه، حيث سيطر افرادها على سيارة باص مخصصة لنقل العاملين في المفاعل. وقد نشبت على الاثر معركة بين الفدائيين والجيش، أدت الى استشهاد الفدائيين الثلاثة ومقتل عدد من ركاب الباص. وقيل ان «أبو جهاد» كان وراء العملية. وقيل، أيضاً، ان الهدف منها كان السيطرة على الباص الذي يقل العلماء العاملين في المفاعل والقضاء عليهم، انتقاماً لاغتيال الشهداء الثلاثة الذين سقطوا في ليماسول، في قبرص، بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٤، لمنع «سفينة العودة» من الابحار، بعد ان تم تفجيرها أيضاً. وقيل، كذلك، ان الهدف كان الوصول الى المفاعل وتفجيره.

وفي مسألة المفاعل الذري هذه تكمن قمة العربدة الاسرائيلية. ففي محاولاتها مواجهة الاكثرية العربية وقواها الصاعدة، الآخذة في التطور، وان كان ببطء، ارتأت اسرائيل ان تلجأ الى تصنيع الاسلحة الذرية وتخزينها لردع العرب وارهابهم ومنعهم من محاولات المساس بها. وفي هذا الصدد، تسربت و/أو سربت المعلومات عن قصد، أو غير قصد، عن مدى التقدم الاسرائيلي في هذا المجال. ونسجت حول ذلك الاساطير والاقاويل، على ما فيها من تبجح ووقاحة ومحاولات ابتزاز. بل ان الامر وصل الى حد اقدام هذا الكيان، الذي لن يجد سكانه، على سبيل المثال، ما يأكلونه لو توقفت مساعدات الامبرياليين الاميركيين عنهم، على ارسال التهديدات المبطنة حتى تجاه الاتحاد السوفياتي، دون غيره، بالايحاء ان لدى اسرائيل صواريخ تحمل رؤوساً نووية يصل مداها الى المناطق الجنوبية من ذلك البلد!

وكل هذه العربدة واساليب التخويف ومحاولات ارهاب القاصي والداني تصل الى نهايتها أو، بصورة أكثر دقة، يشار الى الطريق الى نهايتها، في اجراء «أبو جهادي» نموذجي وبسيط للغاية: مهاجمة ذلك المفاعل وتدميره بطريقة تقليدية للغاية. وعندئذ ، وبدلاً من ارهاب الآخرين،